

The Sincerity of Emotion in the Elegiac Poetry of the Poet Sabti Al-Hiti

صِدْقُ العاطفةِ في شعر المراثي للشاعر سبتي الهيتي

Mohamed Hatem Fathi Al-Hiti

m_alheety87@yahoo.com

Department of Religious Education and Islamic Studies

م.م محمد حاتم فتحي الهيتي

دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية

Receive: 20/11/2021

Accept: 03/01/2022

Published: 30/3/2022

Doi: 10.37654/aujll.2022.176301

Abstract

Praise be to Allah the Lord of the worlds and may the blessings and peace of Allah be upon the most honored of messengers, our master Muhammad, and upon all his family and companions. Passion is one of the most important components of the prosperous poetry of the pre-Islamic era. It is one of the basics of the poetic experience of the critics. Passion gives beauty to the formulation and writing of poetry. Due to the sincere use of passion in lament poems, the researcher tries to present the beauty of passion in Sabti Alheety's lament poems as they contain diverse pictures meanings of passion. The content of the paper is divided into: section 1 (power and beauty of passion), section 2 (continuity and stability of passion), and section 3 (diversity and inclusivity of passion).

Keywords: Poetry ; Passion ; Sabti Alheety ; Laments.

ملخص البحث

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على نبينا الأُمِّي الأمين سيدنا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين.

وبعد... كانت العاطفة منذ ازدهار الشعر في العصر الجاهلي العنصر المهم في تكوينه، فهي أحد أركان التجربة الشعرية لدى النقاد، إذ تعدُّ العاطفة الركن الذي له الأفضلية في إعطاء النص الأدبي جمالاً في التعبير والصياغة. ولَمَّا كانت العاطفة صادقةً في الرثاء، ارتأى الباحث أن يُظهر جمال العاطفة عند الشاعر "سبتي الهيتي" في مراثيه؛ لِمَا وجد فيها من قوة المعاني وصدقها وتنوع صورها. وقد اقتضت طبيعة البحث أن تكون الخطَّة على النحو الآتي:

المبحث الأول: قوة العاطفة وروعها. المبحث الثاني: استمرار العاطفة وثباتها. المبحث الثالث: تنوع العاطفة وشمولها.

الكلمات المفتاحية: (الشَّعر ؛ العاطفة ؛ سبتي الهييتي ؛ المراثي).

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلَاة والسَّلَام على النَّبي الأمين مُحَمَّدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.
أمَّا بعد:

فقد كانت العاطفة منذ ازدهار الشَّعر في عصر ما قبل الإسلام العنصر المهم في تكوينه، فهي أحد أركان التجربة الشَّعرية لدى النقاد، إذ تعدُّ العاطفة الرُّكن الذي له الفضل في إعطاء النَّص الأدبي جمالاً في التَّعبير والصِّياغة، وهي الأداة التي يركن إليها الأديب؛ بغية شدِّ الأذهان إليها، فنرى الأديب يجتهد القول عندما تكون العاطفة في أوجِّها؛ لعلَّه بمدى تأثر القارئ أو السَّامع بخلجان القلب التي تُعبِّر عن صدق المكنون، وجمال التَّعبير الذي يأتي بأنقى عبارة وأوضحها. ولَمَّا كانت العاطفة العصا السَّاحرة التي تجذب الأذهان والأسَّماع، وأنَّها الرُّكن الجَماليِّ للتَّجربة الشَّعرية التي تنظم الأفكار بأسلوب يروق القارئ، ويشدُّه للنَّص الأدبي، فقد اعتنى بها النُّقاد منذ القَدَم، وجعلوها معياراً مُهماً يبنون عليها أحكاماً تخبرهم مدى قوة الشُّعور وروعته، ومدى صدقها وكذبها، ومدى استمرارها في النَّصوص وفنورها، ومدى مقدرة الشَّاعر على امتزاج الأغراض في نصِّ واحدٍ؛ ليعطي الجمال السَّامي الذي أوضحه ذلك التنوع الحاصل في العاطفة. وكلُّ ذلك يتأتَّى من القلب النابض، والشُّعور المُرهف، والاحساس الجميل الذي يختزله قلب الشَّاعر ونفسيته، فتوضحه الأبيات والنَّصوص.

ويرجع اهتمامي بدراسة الشَّعر عند الشَّاعر "سبتي الهييتي"؛ لأنَّه لم يحظ بالدراسة كما حظي شعراء كثر من زمنه. فعندما وقعت عيني على كتب الشَّاعر وجدت فيها من العاطفة ما حجب الأبيات الكثير من كُنْهها، وأسرارها، إذ أتت أبياته وهي تحمل قوة العاطفة مع صدقها، وثباتها مع تنوعها، حتى يكاد القارئ يعيش في آلامه وأحزانه التي سطرها بالفاظ وحروف. وكلُّ هذه العاطفة أوضحنها في تحليلنا لبعض أبياته التي حملت غرض الرِّثاء الممزوج بالعتاب والفخر وغيرهما من الأغراض الأخرى.

ولمّا كان المعلوم أنّ العاطفة في الرّثاء أقوى ارتأيت أن أظهر جمال المكنون النّفسي الذي غمرنا به شاعرنا، وأنّ اكتب في عاطفة الرّثاء التي رُسمت في أبياته، فوسمت بحثي بـ (صدق العاطفة في شعر المراثي للشاعر سبتي الهيّتي).

وقد قسّمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد ذكرت فيه التّعريف بالشّاعر، ومفهوم العاطفة (نظرة موجزة)، وبعدها أتى البحث على ثلاثة مباحث، المبحث الأول: قوة العاطفة وروعيتها. والمبحث الثاني: استمرار العاطفة وثباتها. والمبحث الثالث: تنوع العاطفة وشمولها. ثم عرّجت في نهاية بحثي بخاتمة ذكرت فيها ما توصّلتُ إليه من نتائج، ثم ختمت بحثي بقائمة المصادر والمراجع. ولا أزعم أنّي قلت كلمة الفصل في إظهار الجمال العاطفي المنسوج في أبيات شاعرنا، بل حاولت أن أظهر شيئاً من الجمال الأدبي التي يختزله الشّاعر سبتي الهيّتي. نسأل الله التّوفيق، والسّداد، والإخلاص في القول والعمل. والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد: التّعريف بالشّاعر، ومفهوم العاطفة (نظرة موجزة)

أولاً: التّعريف بالشّاعر⁽¹⁾:

• اسمه، ومولده:

هو سبتي جمعة ذياب سبتي الهيّتي، يرجع نسبه إلى قبيلة الدّؤاسر، ولد في عام 1940م، في مدينة هيت، تحديداً في قلعتها القديمة التي كانت تُعرف بـ(الولاية). تربّى في بيتٍ عُرِفَ بالدين والصّلاح، عاش مع عائلة ميسورة الحال، إذ امتنّهن أبوه الحلاقة؛ ليسدّ بها متطلبات أهله وأولاده.

• حياته، ومسيرته العلمية:

عاش شاعرنا في هذه المدينة القديمة مع أبويه وإخوته، إذ أكمل دراسته الأولية فيها حتى تكلّلت بالنّجاح، عندما تخرّج من المرحلة الإعدادية من ثانوية الرّماذي سنة 1958م.

(1) ينظر: ترجمة الشّاعر بصورة مفصّلة في كتابه: الطريق الصعب "رواية بذاكرة شيوعي":

سبتي الهيّتي، مكتبة الزاوية للطباعة، بغداد، 2014م.

بعدها عُيِّن مُعلِّمًا في إحدى مدارس القرى التابعة للواء الرمادي آنذاك، وفي نفس عام تخرجه انتمى إلى الحزب الشيوعي، وزاد نشاطه السياسي، وبسبب انتمائه إلى هذا الحزب، ونشاطه القوي فيه، تعرّض إلى الكثير من المضايقات من رجال أمن الحزب الحاكم آنذاك، كان من أهمها اعتقاله لأكثر من مرّة، حتى وصل به الأمر إلى نقل خدماته كمعلم من لواء الرمادي إلى منطقة مندلي التابعة للواء بعقوبة سنة 1964م. وفي خِصَمٍ معاناة الغربة والبعد عن الأهل والزّوج، ترك بصمة في تلك المدينة -مندلي-، إذ أبدع فيها بوصفه معلمًا للرّسم، إذ جمع بين الشّعر والرّسم، فكان شاعرًا ورسمًا بالفِطْرة، فلم يأخذ الشّعر ولا الرّسم دراسة بل اكتسب ذلك من فطرتة، وذوقه العالي في مزج الألوان، وكثرة اطلاعه على الموروث الشّعري العربي، وقد ذكر شاعرنا عن إبداعه الرّسم في مدينة مندلي بقوله: "صار المنديون يشيرون بالأصابع إلى وجه ذلك الغريب الجميل حين يمرُّ في ساحة المدينة، أو يرجع في الطريق من قرية (كبرات) إلى مندلي، فيقولون: إنّه الرّسام"⁽¹⁾، وهذا يعود إلى جميل الرّسم الذي خطّته فرشاته في اللوحات المدرسية التي شوّهت في المعارض السنوية التي تقيمها مديريات التّربية وقتئذ.

وظلّ سنتين في هذه المدينة يقاسي الغربة وشظف العيش، وظلّت قريحته الفدّة في ذلك الوقت تتسج الجيّد من الشّعر، حتى عام 1967م، إذ أعيد نقله إلى لواء الرمادي؛ ليتفياً ظلال الأهل والأحباب. ولتعلّقه الكبير بالدراسة وأخذ العلم حرص على أن يُكَمِّل دراسته الجامعية، فاختار كلية القانون في الجامعة المستنصرية، وبعد أن أتاها القبول سارع التسجيل في الدراسة المسائية عام 1970م.

وظل بين كونه طالبًا جامعيًا وبين مهنة التدريس يسكن مدينة هيت، حتى المرحلة الثالثة إذ تمّت الموافقة على نقل ملاكه التعليمي إلى بغداد بطلبٍ منه، وذلك عام 1973م. حتى أكمل دراسته الجامعية في عام 1975م، وسلك بعد تخرجه طريق المحاماة مع طريق التعليم. ولمّا بلغ به العمر مبلغ التعب والمرض، اعتزل العمل السياسي، فكتب رسالة إلى مسؤول الحزب الشيوعي يطلب منه إعفائه عن النّشاط التّظيمي للحزب، وذلك عام 2009م⁽²⁾.

(1) الطريق الصعب "رواية بذاكرة شيوعي" لسبتي الهيتي: ص43.

(2) ينظر: المصدر نفسه: ص92.

• آثارة الأدبية:

يعدُّ الشَّاعر سبتي جمعة الهيتي رائدًا من رواد الشَّعر في العصر الحديث، إذ كان يحمل التَّنوع الأدبي، فكان شاعرًا جزلًا، مُتميِّكًا بالموروث الشَّعري، وهذا ما ذكره الدُّكتور نعمة رحيم العزاوي بقوله: "عرفت الأستاذ الشَّاعر سبتي الهيتي واحدًا من رواد مجالس بغداد الثَّقافية...فكنت أجدُّ في شعره ما لا أجده في شعر غيره من الذين يترددون إلى محافل بغداد...فألفاظ الشَّاعر سبتي الهيتي ألفاظ جزلة، تتسم بالفصاحة والطَّرَافَة، وتتأى عن الابتذال، وصوره من نسج خياله، وبما سمحت به قدرته على التَّصوير، وليست منقولة عن الآخرين، أمَّا تراكيبه فتشغف عن مضامينه، وتتقلل للقارئ ما يخامر نفسه، وما يختلج في قلبه وعقله"⁽¹⁾.

وعلى الرغم من معاناة العيش، واضطرابات التَّنقل التي عاشها الشَّاعر، لم يفتر عن كتابة الشَّعر، بل رافقه الشَّعر في كل محنة مرَّ بها، وقد تضمن نتاجه الأدبي الآتي⁽²⁾:

- الدِّيوان الشَّعري (أوراقُ مُسافر)، صدر عن دار الشؤون الثقافية العراقية، بغداد عام 2005.
- الدِّيوان الشَّعري (ذاكرة الخلود)، هو ديوان مراثي صدر عن دارين:
- دار آراس للطباعة والنشر، أربيل عام 2006.
- دار عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد عام 2011.
- الدِّيوان الشَّعري (مُلصقات على أبواب المدينة)، صدر عن دار الينابيع للطباعة والنشر، دمشق عام 2011.
- الدِّيوان الشَّعري (أغانينا)، ديوان شعري للأطفال، صدر عن دار ثقافة الأطفال، بغداد عام 2012.

(1) ذاكرة الخلود ديوان المراثي: سبتي جمعة الهيتي، مكتبة عدنان للطباعة والنشر، بغداد، ط2، 2011م: ص5.

(2) ينظر: المصدر نفسه: ص174، ومقالات في الأدب والشَّعر: سبتي الهيتي، دار المتن للطباعة والنشر، بغداد، ط1، 2019م: ص 142.

- الديوان الشعري (مزامير ديموزا)، صدر عن دار أمل الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق عام 2013.
- الديوان الشعري (أوراق لدار السلام) صدر عن دائرة العلاقات العامة في وزارة الثقافة، عام 2013.
- رواية (الطريق الصعب رواية بذاكرة شيوعي) صدر عن دار الزاوية للطباعة والنشر، بغداد عام 2014.
- رواية (الفلكة)، صدر عن دار المتن للطباعة والنشر، بغداد عام 2019.
- كتاب (تحت نصب الحرية ومواقف أخرى)، (مقالات) يتحدث فيها عن مشاركاته الشعرية، والأشعار التي أُلقيت فيها، صدر عن دار المتن للطباعة والنشر، بغداد عام 2018.
- كتاب (مقالات في الأدب والشعر)، صدر عن دار المتن للطباعة والنشر، بغداد عام 2019.
- فضلاً عن الكثير من المقالات الأدبية التي نشرت في مجلات وصحف عراقية.

• وفاته⁽¹⁾:

توفي الشاعر سبتي جمعة الهيتي مساء الاثنين من شهر شباط للعام 2016م، في محل سكنه في مدينة بغداد، بعد صراع مرير مع المرض الذي لم يمهل طويلاً، بعد أن رُفد المكتبة الأدبية بالكثير من النتاج الشعري والنثري، الذي لا ينفك طالب العلم من أن يرتشف منه، أملاً في الزيادة العلمية، وطمعاً في الاحتذاء برواد الأدب العربي في النظم والنقد.

ثانياً: مفهوم العاطفة لغةً واصطلاحاً:

العاطفة لغةً من الأصل "عطف": عطفُ الشيء: أَمَلْتُهُ. وانعطف الشيء: انْعَجَجَ. وعطفت عليه: انصرفت. وعطفت رأس الخشبة، أي: لويت⁽¹⁾، "وعطفت عليه: أشفقت. يقال: ما

(1) اخذ الباحث سنة وفاة الشاعر من لسان أبنائه.

يشتيني عليك عاطفةً من رحم، ولا قرابة. وتعطف عليه: أشفق. وتعاطفوا، أي: عطف بعضهم على بعض. واستعطفه فعطف. وعطف الشيء يعطفه عطفًا وعطوفًا فانعطف وعطفه فتعطف: حنَّاهُ وأماله، شدد للكثرة⁽²⁾.

فيتضح مفهوم العاطفة في اللغة بمعنى: الإمالة، والانحناء، فيؤخذ من هذا المفهوم أنَّ العاطفة هي إمالة النَّفس وحنوها؛ لإظهار انفعالاتها بصورة تدعو إلى العطف والمحبة.

أمَّا اصطلاحًا فالعاطفة هي "تلك الميول النَّفسية والنَّوازع الوجدانية المنبعثة عن الانفعالات الغريزية المماثلة في حياة النَّاس من كُرِه، وحبِّ، وحزنٍ، وسرورٍ، وانقباضٍ، ورغبةٍ، ورهبةٍ"⁽³⁾.

فنلاحظ أنَّ مفهوم العاطفة اصطلاحًا أتى مُتساوياً مع مفهوم العاطفة لغة؛ لترابط المعنى اللغوي مع المفهوم الاصطلاحي في فهم الأديب والنَّاقِد. فالعاطفة في المنظور الأدبي والنَّقدي له ارتباط بالتَّجربة الشَّعرية؛ لعلاقتها بالخلاجات النَّفسية والشَّعورية، إذ إنَّ التَّجربة الشَّعرية تعتمد على عناصر وأسس لا تتفك عنها، وهذه الأسس مترابطة ومتواشجة بعضها البعض، فلا يكتمل جمال التَّجربة الشَّعرية بدونها؛ لأنَّ هذه التَّجربة الشَّعرية مُستمدَّة من التَّقلبات الشَّعورية والنَّفسية والحيوية التي تدور في فلك حياة الأديب أو الشَّاعر، فتكون التَّجربة الشَّعرية عبارة عن "مجموعة العلاقات، والمجموعات التركيبية التي تحمل معاني مختلفة تثير انفعالات مختلفة، سرورًا، وحزنًا، وخوفًا،

(1) كتاب العين: أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ)، تحقيق د. مهدي

المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال للطباعة والنشر، مصر، (د.ت):

ج2/ص17، مادة: (عطف).

(2) لسان العرب: أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور الإفريقي (ت: 711هـ)،

تحقيق عبدالله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، وسيد

رمضان أحمد، دار المعارف، القاهرة، (د.ت): ج4/ص2996، مادة: (عطف).

(3) الأدب ومذاهب النقد فيه: رشيد عبدالرحمن العبيدي، مكتبة التفيض، بغداد، ط1،

1954م: ص24.

وخشيّة، أو اطمئنناً⁽¹⁾، وتكون هذه العاطفة متباينة بحسب نوع التجربة المُعاشة وطبيعتها، إذ إنّ التجربة الشعريّة قائمة على: الوجدان، والأفكار، والتّصوير⁽²⁾.

فالعاطفة أحد عناصر التجربة الشعريّة التي يقصدها الشّاعر في قوله؛ ليعقد صلة وطيدة تربط قول الشّاعر بنفس القارئ أو السّامع. حتى يلامس بهذه العاطفة خلجات القارئ، فتشابه انفعالاته؛ ليعيشها مع الشّاعر، فيشجو بشجوها، ويعتلج بذلك الألم الذي صاحب الشّاعر، فكأنّه بذلك يواسيه في أفراحه وأتراحه.

وبما أنّ الشّعر أو الأدب عموماً يعدّ وعاءً للعواطف البشريّة⁽³⁾، فيكون الشّعر بذلك الصّورة النّاقلة للانفعالات والمشاعر عبّر أثير الألفاظ والصّور الحسيّة المُشاهدة التي يكتنفها الشّاعر بين ثنايا القول، والصّور الموجهة لتحريك النفوس إليها، وبذلك تكون هناك مزاجية للعواطف بين الشّاعر والمتلقي.

فالعاطفة تقوم على مبدأ الصّدق، إذ لا بُدّ أن تتوافر في العاطفة صدق التّعبير، فيسوق الشّاعر ما يجده في نفسه، دون زيادة أو تحريف⁽⁴⁾، ومبني قيام العاطفة على الصّدق موجود ذكره في كتب التّراث الأدبي، فقد جاء في "رواية ابن سلام يرفعه عن عبد الله بن عباس ب أنّه قال: قال لي عمر بن الخطاب: أنشدني لأشعر شعرائكم، قلت: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير، قلت:

(1) جماليات التشكيل اللوني في القرآن الكريم: د. ابتسام مرهون الصفار، عالم الكتب

الحديث، عمان ط1، 2010م: ص59.

(2) ينظر: التجربة الشعريّة في شعر بدوي الجبل: رايح فروجي، أطروحة دكتوراه، جامعة

فرحات عباس، الجزائر، 2012م: ص6.

(3) ينظر: الوجه الآخر مقالات في الأدب والفن والحياة: محمد عبدالحليم عبدالله، ط1،

مكتبة مصر للطباعة، 1984م: ص68.

(4) ينظر: النقد الأدبي الحديث: محمد غنيمي هلال، نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1997م:

ص366.

ولم كان كذلك؟ قال: كان... لا يمدح الرجل إلا بما فيه"⁽¹⁾. وأهم ما يميز الصدق الذي يكون في العاطفة "أن ينبعث عن سبب صحيح غير زائف، ولا مُصطنع، حتى تكون عميقة تهب الأدب قيمه الخالدة"⁽²⁾.

وقد جعل النقاد العرب القدماء والمحدثين مقاييس كثيرة تبين صدق العاطفة، وجعلوا هذه المقاييس أساساً لدراسة العاطفة، ومن هذه المقاييس قوة العاطفة، وضعفها، وثباتها، واستمرارها، وتنوعها، وشمولها⁽³⁾.

ولما كان الرثاء قائماً على الحزن كانت العاطفة هي المحرك الأساس لقول الشعر، وطريقة صياغته، ويرجع صدق العاطفة في الرثاء إلى أن الشاعر لا يريد منها التكب ولا الشهرة، إنما يسوق القول؛ ليظهر الوفاء والحب للمفقود، ويظهر الألم الذي أحدثه الموت في نفس محبيه. وعلى الرغم من امتزاج الحزن بالرثاء، إلا أن عاطفة الحزن تتفاوت قوة وضعفاً عند الشاعر بحسب المقصود من الرثاء، ومدى قرب المرثي من نفس الشاعر. فتركيز العاطفة في المرثي قائم على الحزن والتفجع، وهذا ما ذكره الأستاذ أحمد الشايب بقوله: "المرثية ذات عاطفة عامة واحدة هي الحزن"⁽⁴⁾.

وقد تنوعت المرثي عند الشاعر (سبتي الهيتي) في صدق العاطفة تبعاً للمقاييس المذكورة؛ لما حملته هذه المرثي من تنوع القصائد التي قيلت في أشخاص تباينوا في القرب من نفس الشاعر، فكان منهم القريب، والحبیب، والصديق، والأستاذ، والشاعر، حتى عرج إلى السمو في رثاء معالم

-
- (1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت: 463هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، القاهرة، 1981م: ج 1/ص 98.
- (2) أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 1، 1964م: ص 190.

(3) ينظر: صدق العاطفة في شعر مرثي النساء: إيمان كمال مصطفى المهداوي، بحث قدم إلى مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، العدد 51، 2011م: ص 2.

(4) أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب: ص 52.

المدن الضائعة تحتها أيام العمر، وما اكتفت هذه الأيام من حشرات وأهاتٍ من فقدٍ حبيبٍ أو صديقٍ.

المبحث الأول: قوة العاطفة وروعها

تعدُّ قوة العاطفة المقياس الأول الذي تتضح فيه صدق العاطفة وشجوها، إذ يتحكم في هذا المقياس قوة الشعور لدى الشاعر، ورقة إحساسه، ورهافة الشجون الذي يرتقي بانفعال العاطفة إلى أعلى المراتب بأضعف المؤثرات التي تنبئ عن هذه العاطفة، فتتفاوت العاطفة في النتاج الشعري تبعاً لحظِّ الشاعر في الشعور العام⁽¹⁾.

فلنلاحظ قوة الانفعال العاطفي في رثاء أبي ذؤيب الهذلي، وكان له أولاد سبعة، ماتوا كلهم إلا طفلاً، فقال يرثيهم:

أمن المنون وريبها تتوجع	والدَّهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أمانة ما لجسمك شاحباً	منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أم ما لجنبك لا يلائم مضجعاً	إلا أقص عليك ذاك المضجع
فأجبتها أن ما لجسمي إنَّه	أودى بني من البلاد فودعوا
أودى بني وأعقبوني غصَّة	بعد الرقاد وعبرة ما تقلع ⁽²⁾

فجند الشاعر وهو يرثي أبناءه يغلبه التَّحسر والتَّوجع، إذ كانت عاطفة الحزن تُفضي به إلى هلاكه بعد هلاك أبنائه؛ لما وصل إليه حاله، من فقدٍ ما يستند إليه بعد كبر عمره، ورقة عظمه. وهو يراهم قد خطفهم الموت من بين يده، وأسقط عنه عُكَّازَه الذي يركن إليها.

(1) ينظر: العاطفة والابداع الشعري دراسة في التراث النقدي عند العرب إلى نهاية القرن

الرابع الهجري: د. عيسى على العاكوب، دار الفكر، دمشق، ط1، 2002م: ص305.

(2) ديوان الهذليين: الشعراء الهذليون، تحقيق محمد محمود الشنقيطي، الدار القومية

للطباعة والنشر، القاهرة، 1385هـ-1965م: ج1/ص1-21، والعقد الفريد: لابن عبد

ربه الأندلسي (ت:328هـ)، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت،

ط1، 1404هـ: ج3/ص210.

فنلاحظ ازدياد الانفعال العاطفي عند رثاء الأقارب، من أبٍ، وأمٍ، وزوجةٍ، وأبناءٍ، فكُلُّما ازداد قرب المرثي إلى قلب الشَّاعر ازداد الانفجار العاطفي عليه، فقوة الشُّعور العاطفي متأني من العلاقة الرابطة بين الرائي والمرثي⁽¹⁾، وقد "لاحظ النُّقاد قديماً أنَّ قوة عاطفة الحزن في غرض الرِّثاء إنَّما تتجلى في الحرارة، والحُرقة، والكمد عند الشَّاعر، وعند متلقي شعره على حدٍ سواء"⁽²⁾، وهذا الأمر الذي لمسناه في شاعرنا عندما رثى ابنته وهو يقول:

وَدَّعْتُكَ اللهُ مَوْلَانَا وَمَوْلَاكَ	فهو الرَّحِيمُ الَّذِي فِي الْقَبْرِ يَرَعَاكَ
وَدَّعْتُكَ اللهُ فِي رَوْضٍ رَقَدَتْ بِهِ	مُنِيرَةً الْوَجْهَ، وَالرَّحْمَنُ يَلْقَاكَ
فَقَدْ رَجَعْتَ لَهُ وَالنَّفْسُ رَاضِيَةً	وَالْقَلْبُ يَطْفَحُ نُورًا مِنْ مُحْيَاكَ
وَقَدْ حَمَلْتَ لَهُ الْإِيمَانَ صَادِقَةً	هُوَ الْكِتَابُ الَّذِي يَزْهُو بِإِيمَانِكَ
فَكَمْ تَهَذَّبَتْ فِي عِلْمٍ وَفِي أَدَبٍ	وَحَشْيَةُ اللهِ كَانَتْ مِنْ سَجَايَاكَ
وَكَمْ تَحَمَلْتَ وَالْبَلَوَى يُفْضِلُهَا	لِلصَّابِرِينَ وَنِعَمَ الْفَضْلُ بِلَوَاكَ
فَأَنْتِ فَخْرٌ إِذَا مَا عَشْتُ أَذْكَرُهُ	وَلَسْتُ أَنْسَاهُ فِي يَوْمٍ وَأَنْسَاكَ
وَأَنْتِ شَرِيفٌ مَنْ جَارُوا وَمَنْ نَقَضُوا	عَهْدِي فَلَمْ يَعْرِفُوا الْإِنْصَافَ لَوَاكَ ⁽³⁾

فنجد أنَّ القصيدة قد أخذ منحى آخر في قول الشَّاعر، فذهب من الحزن العميق بفقد ابنته إلى الفأل الحسن الذي كان يختلج ذهنه لمصيرها الذي ستلقاه، وهذه هي صورة الرِّضا بما يؤول إليه المرثي طمعاً بما عند الله تعالى من خير، وما اتصف Y من صفات الرِّحمانية والكرم، فالعاطفة القوية والهائجة لفقد الحبيب التي توقدت منذ أن أتى الموتُ فاغراً فاهُ إلى ابنته أطفأتها القناعة بما عند الله تعالى، وما يجمعه الله تعالى من الصِّفات القدسية التي اختزلت هذه الآية شيئاً منها حين قال

(1) ينظر: الرِّثاء في الشُّعر الجاهلي وصدر الإسلام: د. بشرى محمد علي الخطيب،

مطبعة الإدارة المحلية، بغداد، ط1، 1977م: ص190.

(2) أدب المرأة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الأول الهجري: عتاب بسيم السوداني،

رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، 2005م: ص210.

(3) ذاكرة الخلود ديوان المراثي: ص26-27.

تعالى: (اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ)⁽¹⁾. فَقَفَدُ الأبناء مصيبةً تُشْعِلُ النَّفْسَ عاطفةً ووجداناً، وهذا ما ذكره البيهقي (ت:320هـ) حين قال: "وسألت أعرابياً، ما أجود الشعر عندكم؟ قال: ما رثينا به آبائنا وأولادنا، وذلك إننا نقولها وأكبادنا تحترق"⁽²⁾.

فنرى العاطفة الصادقة التي عبّر عنها الشاعر وهو يرثي ابنته أنبأت المآل الذي يرجو الله تعالى لها، فكانت العاطفة الأبوية قد أحكمت قبضتها على الألفاظ، فنراه قد استبدل لفظة القبر الذي هو مكان الوحشة والظلمة بالروض الشاسع الذي جعله الله تعالى مرقداً لابنته، وقد كساها تعالى أبهةً وجماًلاً، وهذا ما يُسمّى في الشعر حُسْنُ الظنِّ بالله تعالى. وقد يكون هذا الفعل من ديدن الشعراء الأوائل الذين استعملوا الأضداد؛ لإضفاء الجمال الحسي والتعبيري للنص الشعري، فكان منهم أبو تمام الذي يقول:

ضوءٌ من النَّارِ والظُّلُماءُ عاكفةٌ وظلمةٌ من دخانٍ في ضحَى شَجِبِ
فالشمسُ طالعةٌ من ذا وقد أَفَلَتْ والشمسُ واجبةٌ من ذا ولم تَجِبِ⁽³⁾

فالعاطفة قد جعلت أبا تمام يرى الحريق الذي أصاب المدينة ليلاً وهي تنير المكان ضوءاً وحرارةً، كأنها الشمس وقت الصّباح، وكأنّها باقيةٌ لم تفل، فالعاطفة دفعت أبا تمام؛ ليستمد من الأضداد صورة جميلة مرسومة في أبيات⁽⁴⁾.

وكذلك نرى شاعرنا قد اقتبس في رثائه لابنته من الذّكر الحكيم، وهو اقتباس معنوي، إذ

قال:

(1) سورة الشورى: من الآية 19.

(2) المحاسن والمساوي: إبراهيم بن محمد البيهقي (ت:320هـ)، تصحيح محمد بدر الدين الثعاسي الحلبي، مطبعة السعادة، مصر، 1960م: ج2/ص34-35.

(3) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، قدّم له راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1994م: ج1/ص39-40.

(4) ينظر: العاطفة وأثرها في تشكيل لغة الشعر: د. حسين أبو المجد محمد، مقالة منشورة في المجلة الحولية بجرجا، جامعة الأزهر، مجلد 9، العدد1، 2005م: ص350-351.

فقد رَجَعَتْ له والنَّفْسُ راضيةً والقلبُ يطفحُ نُورًا مِنْ مُحْيَاكَ

إذ اقتبس في هذا البيت من قوله تعالى: (يَاءَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ # ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً)⁽¹⁾. وهذا الالتماس من الآيات في الأبيات هو الشعور بأن الرضا عند الشاعر كان مُصاحباً لما أَرَادَهُ الله له حين حكم بالموت على ابنته. فاخياره لألفاظ الرِّحمة والجزاء الحسن في الأبيات تسلية لنفسه، وحسن ظنّه برَبِّه، ولكبح جماح العاطفة المتأججة التي لا يستطيع رَدُّهَا إِلَّا بِإِتْيَانِهِ اللفظ الَّذِي يَعْبُرُ عَمَّا سيؤوله المؤمن بعد موته.

وكذلك نجد أبياتاً لشاعرنا تحمل من العاطفة ما تفجرُ العيونُ دمعاً، والقلوبُ حسرةً وتوجعاً، يرثي بها المدن وما علقَ في الأذهان عنها من ذكريات وصور، وما تحمله هذه المدن من شواخص وعلاماتٍ، إذا ما ذُكِرَتْ إنساب الدَّمع عليها اشتياًفاً وحسرةً، منها ما جاء في رثاء جسر الشهداء، الَّذِي يُعْبِرُ عنه بقوله:

مَنْ يُبْلَغُ عَنْكَ أَبْنِ الْجَهْمِ يَا جِسْرَ مَنْ؟

لِيُبْلَغُ عَنْ عَاشِقٍ يَحْمِلُ الْيَوْمَ جُنَّتَهُ

وَيَطُوفُ بِهَا مُدُنَ الْفُقَرَاءِ...

بَاحِثًا فِي خَرَابِهَا عَنْ غَدٍ ضَائِعٍ

وَجَنَائِنَ مَفْقُودَةٍ مَا أَبَاحَ بِهَا الشُّعْرَاءُ.

عَاشِقٌ تَقْتَفِي خُطْوَةَ ظُبْيَةٍ نَازِفٌ جُرْحُهَا

وَعَلَى كَفِّهِ قَمَرٌ أَسْوَدُ الْكِبَرِيَاءِ.

المصائبُ فِي جَانِبِيهِ اسْتَحَالَتْ مَدَى،

طَعَنْتُ قَلْبَهُ،

وَالْمَآذِنُ تَطْرُقُ مِنْ حَجَلٍ

مُنْذُ عَافَتْهُ فِي ظِلِّهَا جُنَّةٌ لِلصِّيَاءِ...⁽²⁾

(1) سورة الفجر: الآية 27-28.

(2) الديوان: ص 91-94.

فالشاعر يحاكي بأبياته المنظومة على البحر الحر قصيدة الشاعر علي بن الجهم حين مدح المتوكل، وهو يقول:

عُيُونُ الْمَهَا بَيْنَ الرِّصَافَةِ وَالْجِسْرِ جَلَبْنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أُدْرِى وَلَا أُدْرِى⁽¹⁾
فشاعرنا يندب المدينة بذكر شواخصها، وما آل إليه وضع المدينة بعد أن كانت عروسةً
تتزين بظلال أشجارها، وزهو العمران والبنائيات فيها، وبعد أن كان الإنسان فيها يتقلب بنعيمها شرقاً
وغرباً، أصبحت أطلالاً للتحسر، وظلالاً يكتنفه الخوف والرعب؛ لما حلَّ بها من ويلات، فتزداد
العاطفة بالتوقد عند ذكر المواضع والصور التي تنبئ عن الخوف والرَّهبة، وتخدم عند مواساة النفس
وتسليتها، فهو يصور أحداث الرعب التي احتلت أماكن الفرح والازهار، فيقول:

مَنْ يُبْلَغُ عَنْ زَمَنِ آسِنٍ
زَمَنًا جَارِيًا مِثْلَ مَاءٍ .
فَيُبْلَغُ عَنْ جُنَّةٍ مَا تَزَالُ بِأَعْمَدَةِ الْكَهْرِبَاءِ ،
بَيْنَ نَحْلِ الرِّصَافَةِ وَالْكَرْخِ مَصْلُوبَةً ،
وَعَلَى خَذِّهَا وَرْدَةٌ دَبَلَتْ مِنْ أَسَى وَحْيَاءِ .
وَعَلَى جُرْحِهَا تَتَمَرَّغُ بِالْحُزَنِ غَيْنُ السَّمَاءِ .
يَا لِعَدْرِ الْحَضَارَةِ فِي أَهْلِهَا ،
يَوْمَ أَلْقَتْ عَلَى بَابِلَ غَضَبًا ...
وَتَبَاهَى بِهِ سَادَةُ الْعَصْرِ وَالْأَغْنِيَاءُ الْكِبَارُ ،
وَرُعَاةُ الدَّنَاصِيرِ وَالْإِبِلِ وَالْأَغْبِيَاءِ⁽²⁾ .

فنرى العاطفة حاضرة بكلٍ عنفوانها حين جمّد الشاعر الصور بالألفاظ الواضحة، فاصطلح
عن الأحداث الصاخبة التي علا صوت أنينها بين ركام حطام البيوت المتهالكة بأنّها الماء الأسنُ
الذي طغى لونه الأسود على الموجودات، وأزكمت الأنوف رائحته الكريهة، فكأنّ المصاب قد طال

(1) ديوان علي بن الجهم: عني بجمعه وتحقيقه ونشره خليل مردم بك، طبع في وزارة
المعارف، المملكة العربية السعودية، 1002هـ: ص220.

(2) الديوان: ص 91.

البلاد بوشاح السّود، ورائحة الموت، وكلّ هذه الأحداث أنبأت عن عاطفة التّحسر في النّحول من رخاءٍ إلى شدّةٍ، ومن رغدٍ إلى عناءٍ، ومن حياةٍ إلى موتٍ. فكان الانفعال العاطفي مشحوناً بالصدق في الشّعور، ومساوياً لفقد العزيز والقريب. فقُدّ البلاد فقُدّ للأمان والسّعادة، وكذا فقُدّ الأبناء والأحباب فقد للرابطة الأسرية التي كانت سنداً ومتكأً، ونُعولُ صدق الشّعور في عاطفة رثاء المدن إلى أنّه لا يحمل التملّق ولا التّكسّب، بل يُعبّر عن الخلجات العفوية التي تفضّحها الملكات الشّعيرية بسياقات وأوزان تصور المقصود بلا تقييد وحدود؛ لأنّ الشّاعر لا يترجّى من هذه الأحجار أو الشّواخص أن تُكسبه ما لا أو شهرةً.

وإنّ هذه المشاهد وإنّ تصوّرت في أبيات القصيدة، وحملت من العاطفة الشيء الكثير إلّا أنّها لم تصل إلى نوع العاطفة الصّادمة التي تخرج من الشّاعر وقت المُصاب؛ لأنّها تكون بركاناً هائجاً لا يُعرف مقداره ولا انتهاؤه، وهذا الأمر نراه عند الشّعراء القدماء الذين سطروا الرّثاء وقت المُصاب فأبدعوا، وكانت على رأسهم الخنساء التي أتى شعرها وقت مُصابها بصورة رائعة قوية، وهي تقول:

يا عينِ جودي بالدموعِ الغزار	وإبكي على أروغ حامي الذّمار
فرعٍ من القومِ كزيم الجدا	أنماهُ منهم كلّ محض النّجار
أقولُ لَمّا جاءني هلكُهُ	وصرّحَ النَّاسُ بِنجوى السّرار
أخيَّ إمّا تَكُ ودّعَتنا	وحالٍ من دونك بُعد المزار
أهلي فداءً للذي غودرت	أعظمُهُ تلمّع بين الخبار
صريعٍ أرماعٍ ومشحوذةٍ	كالبرقِ يلمعن خلال الديار ⁽¹⁾

فنرى توهّج العاطفة بين أشطار الأبيات؛ لقرب موت أخيها، فانبلج اللسان صادقاً برثائه يحمل عظيم الشّعور تجاهه، وهذا ما ذكرته الدكتورة عائشة بنت الشاطي في قولها: "قالت لَمّا جاءها خبرُ هلكه، فيها اللهفة الحارة، والحزن المستثار، والشّاعرية المرفهة، وتستجيب لدفع الوجدان بهذا

(1) ديوان الخنساء: شرحه حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004م: ص60.

الوزن السريع، والرّنين المقيد، فكأنّها صرخات قلب مقطع مُمزق، وأتأت صدر مُتصدع الأنفاس، ولهات لوعة باتت تباريحها تقدح في قلبها شجاً من شرار النار⁽¹⁾.

أمّا المراثي بعيدة العهد التي قالتها الخنساء، فقد عبّرت عنها الدكتورة عائشة بنت الشاطي بقولها: "وفي هذه المراثي المتأخرة نراها تُقلّد نفسها، وتدور في حلقة مفرغة مكررة ألفاظاً، ومعاني لها سابقة، ولا تكاد تتجو مرثية لها متأخرة، من أثر التّكلف ومعاناة النّظم وإجهاد القريحة"⁽²⁾.

المبحث الثاني: استمرار العاطفة وثباتها

يعدّ المعيار الثّاني من معايير العاطفة التي تقاس فيها مقدرة الشّاعر على جعل تلك العاطفة ثابتةً مع طول أبيات القصيدة، فلا يشوبها فتورٌ ولا نقصٌ، فيتساق وثباتها من أول البيت إلى آخره. وقد عبّر الأستاذ أحمد الشايب عن هذا المقياس بقوله: "يراد بثبات العاطفة استمرار سلطانها على النّفس المنشئ ما دام يشعر، أو يكتب، أو يخطب؛ لتبقى القوة شائعة في فصول الأثر الأدبي كلّ لا تذهب حرارتها وبهذا يشعر القارئ أو السّامع ببقاء المستوى العاطفي على روعته مهما تختلف درجته باختلاف الفقرات والأبيات"⁽³⁾.

وإنّ استمرار العاطفة وثباتها في النّص الشّعري راجعٌ إلى الثّراء العاطفي الذي يسكن قلب الشّاعر⁽⁴⁾، فيحاول تشكيلها بألفاظ تُصور هذه المكونات النّفسية؛ لينتقل للسّامع الشّجوّ الذي خُلِق في نفس الشّاعر، فيتشارك بتلك العاطفة الرّائي والمتلقي. وقد أوضح ابن قتيبة (ت: 276هـ) هذا المقياس، حين قال: "ولله درُّ القائل: أشعر النّاس من أنت في شعره حتى تفرغ منه"⁽¹⁾.

(1) الخنساء: د. عائشة عبدالرحمن بنت الشاطي، دار المعارف، مصر، ط2، 1963م: ص99.

(2) المصدر نفسه: ص112

(3) أصول النقد الأدبي لأحمد الشايب: ص197.

(4) ينظر: صدق العاطفة في شعر مراثي النساء: ص7.

فيتضح من هذا القول أنَّ الشَّاعر المبدع هو الَّذي يَعمدُ إلى شدِّ الأذهان تجاه أبيات قصائده من أولها إلى آخرها، ولا يكون ذلك إلَّا إذا كانت العاطفة يفوح شذاها بثباتٍ واستمرارٍ دون انقطاع وفتور، وهذا كلُّه متأبِّ من صدقها، وروعيتها، وقوتها في نقل الشُّعور دون تزييفٍ أو برود⁽²⁾. وهذا ما وجدناه في مراثي الشَّاعر التي تحمل عاطفة صادقة مستمرة، يفوح شذاها الحزين في الألفاظ والصُّور، ومنها قوله وهو يرثي الشَّاعر محمد مهدي الجواهري:

يَا حَادِي الشَّعْرِ الْمُهِيبِ عَزَاؤُهُ أَنَا فِي رِخَابِكَ غَصَّةٌ وَعَزَاءُ
أَسَفٌ عَلَى أَسَفٍ بِقَدْرِكَ طَالَهُ حَذَرُ الْوَقِيعَةِ فِي الصُّدُورِ خَفَاءُ
أَبَا فُرَاتٍ يَا شَهَابَ غُرُوبَةٍ وَبِضِدِّهَا تَنَبَّيْنُ الْأَشْيَاءُ
بِكَ إِطْعَمْتُ مِنْ قَبْلِ أَلْفِ نُخْبَةٍ بِلِسَانِهَا فَسَمًا بِهِمْ إِعْطَاءُ
وَأَثَابَهَا الْمَاضِي بِنَجْمِكَ ثَاقِبًا حُجِبَ الظَّلَامُ فَأَنْتَ مِنْهُ ضِيَاءُ
أَبْدَأُ تُشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ سَمَاحَةً وَمِنْ السَّمَاحَةِ عِرَّةٌ وَإِبَاءُ⁽³⁾

فنجد العاطفة في هذه القصيدة قد ترابط جمالها، وقوة شدوها من أول البيت إلى آخره، إذ استهلَّ قصيدته يندب حظ الشعراء بفقد شاعرهم ومرشدهم، وعاطفته كانت في أوجها، حتى إذا ما قام يسرد مآثر شعر الفقيه، نرى عاطفة التَّحسر تحلَّق بين السُّطور، وهذا ما نراه في قوله:

فَهَوَى عَمُودُ الشَّعْرِ مِنْ عَلَيَّائِهِ لَمَّا نَعَتَكَ بِحُزْنِهَا الْأَبْنَاءُ
وَتَصَدَّعَتْ أَبْيَاتُ شِعْرِكَ كُلُّهَا وَتَخَلَّعَتْ أَبْوَابُهَا الْخَضْرَاءُ⁽⁴⁾

فيلحظ أنَّ العاطفة قد أخبرت أنَّ المُصاب بفقد الشَّاعر جَلَلٌ، وأنَّ الفجوة التي تركها والتُّلْمَة كبيرة يصعب أن يملأها غيره. فالشَّاعر يصف الجَّواهري بأنَّه عمود الشَّعر، أي: أنَّه السَّنام الأوحد

(1) الشَّعر والشُّعراء: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، تحقيق

أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1423هـ: ج1/ص82.

(2) ينظر: النقد التطبيقي عند العرب في القرنين الرابع والخامس الهجريين: أحمد محمد نتوف، دار النوادر، دمشق، ط1، 2010م: ص350.

(3) الديوان: ص 61-67.

(4) الديوان: ص64.

الَّذِي يَقُومُ الشُّعْرَاءُ فِي خِيَمَةِ الشَّعْرِ تَحْتَهُ فَيُنْهَوْنَ، حَتَّى تَخْلُفَ ذَلِكَ فَتُورَ فِي الشَّعْرِ، وَالْمَعْلُومُ أَنَّ أَسْمَاعَ الصَّدْعِ لَا تَحْدُثُ إِلَّا فِي الصَّلْبِ مِنَ الْأَشْيَاءِ، فَشَبَّهَ أَبْيَاتَ الشَّعْرِ الَّتِي كَتَبَهَا وَهِيَ تَنْدُبُ حَظَّهَا بِالنَّصْدَعِ، حَتَّى يُعْلِمَ السَّامِعُ أَنَّ مَا أَوْرَثَهُ هَذَا الشَّاعِرُ الْكَبِيرُ صَلْبَ كَالْجِبَالِ لَا يَنْتَهِي إِلَّا بِالنَّصْدَعِ وَالْإِنْهَارِ، وَكُلُّ هَذِهِ الصُّوَرِ تُخْبِرُ السَّامِعَ مَدَى ثَبَاتِ الْعَاطِفَةِ الْجَامِحَةِ فِي أَبْيَاتِ الشَّاعِرِ، وَمَدَى اسْتِمْرَارِيَّتِهَا، حَتَّى إِذَا أَرَادَ أَنْ يُفَضِّيَ إِلَى نَهَايَةِ رِثَائِهِ حَاوَلَ أَنْ يُسَلِّيَ نَفْسَهُ بِذِكْرِ مَا قَالَهُ الْجَوَاهِرِيُّ؛ لَكِي يُعْلِمَ الْمُرْتِي أَنَّهُ بَاقٍ بِبَقَاءِ تَرْيِيدِ أَبْيَاتِهِ، فَقَالَ:

شَرَفَتْ لِجَلَّةٍ أَنْ تُحْيِيَ مَاءَهَا غَدْبًا وَإِنْ كُدُرَتْ بِهِ الْأَضْوَاءُ
شَرَفَتْ لَهَا أَنْ تَحْنَقِيَ بِكَ وَارِدًا أَوْ صَادِرًا وَجَبِينَهَا لِأَلَاءِ
لَا لَسْتُ عَنْكَ سَجَعَ حَمَامِهَا فَلَقَدْ بَقِيتُ وَعَاذَرَ الشُّعْرَاءُ (1)

وهذه الأبيات قد اقتبسها من أشعار الجواهري التي قال فيها:

حَيِّيتُ سَفْحَكَ عَنْ بُعْدٍ فَحَيَّيْنِي يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ يَا أُمَّ الْبَسَاتَيْنِ (2)

فكانت العاطفة في أبيات شاعرنا صادقة، باقية التوهج في جميع الأبيات، معبرة عن مدى الحزن الذي انتاب الشاعر منذ أن صاح المنادي مُعلنًا موت الشاعر الكبير، فكانت العاطفة ثابتة مستمرة لم نر لها فتورًا ولا خمودًا، بل تلالأت في جنبات الأبيات، مُعلنَةً عن جمال القول في المراثي، وصدق الوجدان له.

ومثل هكذا ثبات في العاطفة تحدث عنها النقاد الذين فهموا أن ثبات العاطفة واستمرارها في القصيدة تكون باختصاص الشاعر كل غرض من أغراض قصائده بشيء من توقد الشعور

(1) الديوان: ص 67.

(2) ديوان الجواهري: محمد مهدي الجواهري، جمع وتحقيق د. إبراهيم السامرائي، د. مهدي

المخزومي، د. على جواد الطاهر، رشيد بكتاش، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد،

1975م: ج 5/ص 83.

العاطفي الخاص به، فزاهم قد احتفوا بالقصيدة أجزاء ووحدات، وتكلموا عن براعة المطلاع، وحسن التّخلص، وروعة المقطع، أو الخاتمة⁽¹⁾.

المبحث الثالث: تنوع العاطفة وشمولها

ونعني بهذا المقياس وجود عواطف أخرى غير عاطفة الحزن تكون مترابطة ومتواشجة ومتداخلة معها في نصٍّ واحدٍ؛ ذلك أنّ تنوع الأغراض التي يتقنها الشاعر يكون مدعاةً إلى إظهار مقدرته الشعريّة في تكوين عواطف مختلفة ومتنوعة، إذ تكون كلّ هذه العواطف مُعتمدةً على المقياس الأبرز في مقياس العاطفة، وهو مدى صدقها أو كذبها، فربّما يكون التّنوع في إظهار العواطف راجعاً إلى حبّ الشهرة، والظهور ليس إلّا، فيخرج بعاطفته من صدق الشّعور إلى كذبه⁽²⁾.

وقد كان التّنوع في العاطفة من أكثر ما شغل بال النقاد العرب، ومنهم أبو عبيدة مُعمر بن المُثنى النّيميّ (ت: 209هـ) الذي قال في تمييز الأعشى عن غيره من الشعراء: "مَنْ قَدَّمَ الأعشى يحتج بكثرة طوالة الجياد، وتصرفه في المديح، والهجاء، وسائر فنون الشعر، وليس ذلك لغيره"⁽³⁾. وقد ذكر الأستاذ أحمد الشايب تنوع العاطفة بقوله: "قد تتنوع العواطف الجزئية في القصيدة، أو الخطبة، أو الرّسالة، ولكنّها مع ذلك خاضعة لهذه الوحدة الشعورية العامة، فالوصف الرائع يدخل في الرّثاء، ولكنّه يُقويه، ويلبس ثوبه الحزين"⁽⁴⁾.

والمتمامل في مرثي الشاعر يجد التنوع العاطفي منسوجاً في أبيات قصائده، فزاه قد سخر أغلب الأغراض الشعريّة لخدمة غرض الرّثاء، ومن تلك الأغراض الممزوجة مع الرّثاء هو غرض الوصف، الذي لم يفارق أغلب أبيات القصائد، ومنه ما جاء في قوله:

مَا كُنْتُ مَخْذُولاً عَلَى سَكَرَاتِهِ بَلْ رَاضِياً عَالِي الْجَنَابِ مُوَجِّداً

(1) ينظر: العاطفة والإبداع الشعري لعيسى العاكوب: ص 275، والنقد التطبيقي لمحمد نتوف: ص 349.

(2) ينظر: النقد التطبيقي لأحمد محمد نتوف: ص 350.

(3) الأغاني: أبو الفرج الاصفهاني (ت: 356هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الشعب، مصر، ط 1، 1969م: ج 9/ص 3229.

(4) أصول النقد الأدبي لأحمد الشايب: ص 198.

يَنسَابُ مِنْ عَيْنِكَ خَشْيَةُ عَابِدٍ وَبَرِيقُ ... إِيْمَانٍ ... يَزِيدُ تَوْقُدًا⁽¹⁾

فتظهر براعة الشاعر في مزاجية غرض الوصف مع الرثاء، حين يصف الشاعر المرثي وهو صابر على الموت بأنه لا يشبه غيره، بل حمل مع الصبر الرضا، وأنه عالي الجناح موحّد توحيد الصالحين، الذين يتوشحون الخشية والرّهبة لله تعالى، فوصف توحيد ذلك الرجل بأنه دائم البكاء لله تعالى، مصحوب بالخشية والخضوع له، وخشيته ليست تملقاً ولا مريّة بل خشية العابد الذي ترى أنوار إيمانه وبريقها من محياه. وفي هذين الغرضين عاطفتان امتزجتا مع بعض؛ لتظهر جمال التعبير والتّصوير، وما يشوبهما من حزن عميق للفقيد في نفس الشاعر.

وفي صورة أخرى للعاطفة والتي أتت في امتزاج غرض الوصف مع الرثاء الذي انساق في

قوله:

يَا شَاهِرَ السَّيْفِ حَسْبُ السَّيْفِ مُمْتَشِقًا	وَحَسْبُهُ مَا نَبَا فِيهَا وَمَا زَهَقًا
وَحَسْبُهُ إِنْ مَوْتًا قَدْ تَرَصَّدَهُ	مِنْ قَبْلِ عِشْرِينَ مَأْسُورًا وَمُسْتَبَقًا
قَدْ طَالَهُ وَهُوَ يَدْرِي أَنَّ مَعَدَنَهُ	بِرُغْمِ سُودِ اللَّيَالِي ظَلَّ مُؤْتَلِقًا
يَا شَاهِرَ السَّيْفِ يَا فَادٍ بِلَا زَمَنِ	وَيَا زَمَانًا غَرِيبَ النَّاسِ مَا رَفَقًا
لَئِنْ نَعَتَكَ جِرَاحُ النُّخْلِ نَازِفَةً	فَكَيْفَ يَنْعَاكَ مَنْ عَادَى وَمَنْ عَشِقًا
وَكَيْفَ يَأْخُذُ مِنْكَ الْمَوْتُ بُعِيَّتَهُ	وَقَدْ رَمَاكَ بِسَهْمِ الْغَدْرِ مُرْتَقًا ⁽²⁾

فجاء الوصف في أبداع صورة حين عبّر عن الرّمية التي تلقاها الفقيد بأنها الموت، وكيف أنّ هذه الرّمية كان ترصده قبل أسره بعشرين سنة، فكأنّها كانت تبحث عنه في الوجوه حتى شاهدها فارتمت في صدره، وهذه المشاهد في الوصف عبّرت عنها الألفاظ التي تحمل التّجانس بين بعضها البعض، فمن اسم الفقيد (شاهر) صوّر لنا الشاعر أنّ الفقيد قد حمل الاسم متفاخرًا كأنّه السّيف

(1) الديوان: ص10.

(2) الديوان: ص35.

مُمتشق، حتى وإن قد نبا⁽¹⁾ هذا السيف عن العدو، أو زهق أرواحهم يبقى يشع بريقاً ورفعةً، وعلى الرغم من سواد الليل الذي قضى فيه غدرًا يظل بريق الفقد في حسن سيرته مشعاً وضّاءً، فهذه الصورة تحمل من العاطفة حرارتها ووهجها، لأنّها تصور المقتل، وهذا الأمر ممّا يجعل الألم يزيد عند الشاعر؛ لأنّ هذه الأبيات تذكره المصاب الذي قد قضى فيه المرثي.

وكذلك أتى هذا الإبداع الوصفي الذي تمازج مع الحزن في قوله:

يَا غَابِرَ اللَّيْلِ كَمْ لَأَقَيْتَ مِنْ ظَنِّكَ وَكَمْ تَغَرَّبْتَ كَمْ قَاسَيْتَ مَا اخْتَلَقُوا
وَكَمْ ظَمِئَاتٍ وَكَمْ أَضْنَتُكَ قَافِيَةً وَكَمْ تَمَادَى فَأُدْمَى جِفْنَكَ الْعَسَقُ
وَأَنْتَ تَزْرَعُ أَزْهَارًا مَلُوءَةً تَرْفُهَا الشَّمْسُ وَالْأَنْوَارُ وَالْأَلْقُ
وَالْفَاتِنَاتُ الصَّبَايَا وَهِيَ لَاهِيَةٌ وَبَسْمَةُ الطِّفْلِ وَالْأَنْسَامُ وَالْحَقَقُ
وَدَجَلَةُ الْخَيْرِ نَشْوَانٌ بِقَامَتِهِ وَالْكَرْخُ وَالْبَاسِقَاتُ النَّخْلُ وَالْعَبَقُ⁽²⁾

فنشاهد وصف الطبيعة الغناء الذي تكاتف مع صورة الحزن؛ ليعطي النقاء الصوري والجمال الإبداعي اللفظي، وهذا الإبداع الشعري قد سبق إليه شعراء كثر، ومنهم شاعر الطبيعة ابن خفاجة الأندلسي (ت: 533هـ)، الذي أبدع هذه المزوجة بين الطبيعة والزّناء⁽³⁾، فنرى هذه المزوجة في رثائه الوزير أبا محمد عبدالله بن ربيعة، فقال:

فِي كُلِّ نَادٍ مِنْكَ رَوْضٌ ثَنَاءٍ وَبِكُلِّ حَدٍّ فِيكَ جَدُولٌ مَاءٍ
وَلِكُلِّ شَخْصٍ هَرَّةٌ الْغُصْنِ النَّدِي غِيبَ الْبُكَاءِ وَرِنَةَ الْمُكَاءِ
يَا مَطْلَعَ الْأَنْوَارِ إِنَّ بِمُقْلَتِي أَسْفَاً عَلَيْكَ كَمَنْشَأِ الْأَنْوَاءِ

(1) معنى نبا يأتي من نبا السيف عن الضريبة، أي: تجافى ولم يمرض فيها. ينظر: مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس (ت: 395هـ)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، 1979م: ج5/ص384، مادة: (نبو).

(2) الديوان: ص 97.

(3) ينظر: أدب الوفادة لدى أدباء الأندلس داخل وخارج الأندلس: يوسف إبراهيم قطريب،

دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2017م: ص119.

وَكَفَى أَسَى أَنْ لَا سَفِيرَ بَيْنَنَا يَمْشِي وَأَنْ لَا مَوْعِدَ لِلْقَاءِ⁽¹⁾

فلنلاحظ صور الطبيعة وهي تزهر في الأبيات بعقب الأزهار، إلا أنَّ المتأني من معناها يحمل الحزن والتحسر لفقد المرثي، وهذا النَّضاد في استعمال الصور الحسان في قوالب مملوءة بالحزن والأسى، يكون مدعاةً لتنوع الجانب العاطفي عند الشاعر في التعبير والتصوير، وهذا الأمر الذي لمسناه عند شاعرنا الذي حمل عاطفةً جمّةً جعلته يتحكم في تشكيلها بين أبيات قصائده. فنراه يمازج ويواشج عاطفة الحزن في مرثيته بالعتاب الذي يصف فيه جمال الطبيعة التي اكتفت ذكرياتهم فيها، فقال يعاتب بصيغة الاستفهام:

أَحَقَّ طَوَيْتَ كِتَابَ الْحَيَاةِ لِنَتَوِي الرِّحِيلَ فَلَا نَلْتَقِي
أَحَقَّ تَمُوتُ وَأَنْتَ الرَّبِيعُ وَأَقْلَامُ غَرَسِكَ لَمْ تُورَقْ
وَكُنْتَ تُؤْمَلْنَا بِالْمَزِيدِ مِنَ الْحُبِّ وَالْأَمَلِ الْمُشْرِقِ
وَتَمْنَحُنَا ثِقَّةَ الْوَاعِدِينَ وَحَسْبُ الْحَيَاةِ لِمَنْ يَرْتَقِي⁽²⁾

فنرى غرض العتاب قد نُسِجَ مع خيوط الرِّثاء، فقال الشاعر مُعَاتِبًا صديقاً له بأسلوب الاستفهام: (أ حقاً؟)، وهي صورة تُظهِرُ العاطفة المحمومة بالاشتياق، والتي جُمِعَتْ بين عاطفة الحزن الشديدة، وعاطفة العتاب للصديق الذي قد غادر الحياة. ومثل مواشجة العتاب مع الرِّثاء ما جاء في معاتبة الجسر بقوله:

فَمَا لَوَجْهَكَ يَلْقَى النَّاسَ عَابِرَةً وَمَا لِسَطِّكَ جَارٍ غَيْرَ مَحْزُونٍ
كَأَنَّكَ الْيَوْمَ لَمْ تَسْمَعْ بِنَائِحَةٍ تَنَعَى الْمَوَدَّةَ مَا بَيْنَ النَّسَاتَيْنِ
أَوْ أَنَّ "شَوْقِي" لَمْ يَنْزِفْ عَلَيْكَ دَمًا وَمَا تَمْنَاكَ مَلْهُوفًا "كَيَاسِينَ"
فَمَا حَزَنْتَ عَلَى أَيِّ وَقَدْ ذَرَقْتَ عَلَيْهِمَا الدَّمْعُ حَتَّى عَيْنُ كَانُونٍ
وَمَا وَفَيْتَ بِعَهْدِ الْخَالِمِينَ وَقَدْ تَصَوَّرُوكَ مَلَاذًا غَيْرَ مَضْنُونٍ
فَأَكْثَرُوا فِيكَ أَشْعَارًا وَأَمْثَلَةً وَأَشْغَلُوا فِيكَ رُودَ الدَّوَاوِينِ⁽¹⁾

(1) ديوان ابن خفاجة الاندلسي: شرحه وضبط نصوصه د. عمر فاروق الطباع، دار القلم

للطباعة والنشر، بيروت، 2004م: ص 16-17.

(2) الديوان: ص 43.

فنلاحظ من هذه الأبيات عاطفة الحزن قد سبقها العتاب، فامتزجت مع وصف الطبيعة امتزاجاً أعطاهما الجمال الصياغي والتعبيري، إذ نشاهد العتاب في مشهدٍ تصويريٍّ جميلٍ، حين يسرد تلك المشاهد التي تلازم الجسر من جريان الماء، والبساتين حوله تُداعِبُ الشَّوْاطِيَّ بِظِلَالٍ فِيءٍ نخبيلها، وهذه المشاهد التي تكون في العادة مُلهمةً للعاطفة عندما يجلس الشَّاعِرُ بين جنباتها مُتأملًا، فكأنَّه يقول لهذا الجسر وما حوله: قد عهدناكَ مَرْتَعًا للفرح، أَكثَرْنَا فِيكَ الشَّعْرَ حَتَّى صرْتَ مَضْرِبًا للمثل في أقوالنا، فما لك لم تحزن حين جَرَّ الحُزْنُ الأذيالَ إلينا؟ أتفرح بالفرح، ولا تسكب الدَّمعَ يوم حزننا؟ وقد عهدناكَ ملاذنا بأفراحنا، وصرْتَ كأنَّكَ غريبٌ يوم أترأخنا، فهذه الصُّورة فيها من العاطفة الشَّيْءَ الكبير، إذ أتى الحُزْنُ مجذولًا بالعتاب؛ ليخرج الجَمالَ الصُّوري والتَّعبيري في الأبيات؛ وليشد الأذهان إلى التَّلونِ الحاصل في التَّعابير، فينقل بذلك الشَّاعر العاطفة منه إلى المتلقي؛ ليستشعر الألم والحزن معًا

وكذلك نرى صورًا تخبرنا عن عاطفة الاستغراب والدَّهشة الممزوجة مع عاطفة الرِّثاء حين

يقول:

هِيَ الْحَيَاةُ وَتَبَقَى حِينَ نَطْلُبُهَا	مَعَ الْفَضَائِلِ يُمَسِي بُؤْسُهَا كَرَمًا
فَمَا لَهَا كُلَّمَا تَسْعَى لِعَافِيَةٍ	فِيهَا النُّفُوسُ يُوَافِي بُرُؤَهَا سَقَمًا
وَمَا لِذَلِكَ الْفَرَاتُ الْعَذْبُ قَدْ سَكَنْتْ	فِيهِ النَّوَاعِيرُ حَتَّى خِلَتْهَا رُجَمًا
وَلِلنَّخِيلِ الْمُرَجَّى حَوْلَهَا عَوْضًا	مِنْ الْأَبَاةِ تَدْنَى أَوْ غَدَاً إِصْمًا ⁽²⁾

فالمُتأمل في هذه الأبيات يرى عاطفة الشَّاعر تتجلى مُدويةً بصوتها، تُحَادِثُ الحَيَاةَ، إذ أنت مُعَاتِبَةٌ إِيَّاهَا، وِمَتَسَائِلَةُ الحَيَاةِ لم عناد السَّقَمِ بالمعاودة الجسم بعدما زاره بُرُؤُ الله؟ كذلك يستفهم مُسْتَعْرِبًا من الفرات الَّذِي سَكَنْتْ بَوَارِجُ نَوَاعِيرِهِ، حَتَّى أَنَّ الشَّاعِرَ قد خَالَهَا قد رُجِمَتْ حَجَارَةٌ فلم تعد تعمل، كذا النَّخِيلِ المَعْهُودِ شَمُوخِهِ وهو يَتَرَبَّعُ الشَّوْاطِيَّ والبساتين، لم ير له دُنُوًّا ولا سَقُوطًا لموت صديقه الَّذِي كَانَ يُجَالِسُ فِيَّاهُ، ويشرب من ذلك الفرات العذب. وكلُّ هذه الصُّور تتشابه فيها

(1) الديوان: ص72.

(2) الديوان: ص69.

العواطف، وتتنوع؛ لتشكل أبدع الصور، وأجملها. وكلُّ هذا لا يتأتى إلا أن يكون الشاعر ذا ملكة شعرية وافرة، ومقدرة كبيرة على صياغة التعبير الملهم من تلك العواطف الجياشة.

أمّا مشاهد الفخر فلم تغادر الشاعر بل امتزجت مع عاطفة الرثاء حين قال:

أَبَاؤُنَا صَفْوَةُ الْأَبَاءِ كَانَ بِهِمْ ذَاكَ الزَّمَانُ حَيًّا لَيْسَ مَلْعُونًا
وَالْيَوْمَ مَا بَيْنَ أَنْ نُوفِيَ صَنِيعَهُمْ وَأَنْ نَصُونَ وَفِي جُهْدٍ مَعَالِينَا
تَأَبَى الْمُرُوءَةُ إِلَّا حِينَ نَذْكُرُهُمْ أَنْ نَبْتَدِيَهُمْ بِمَنْ كَانُوا مَوَازِينَا
مُعَوِّدِينَ عَلَى طِيبِ النَّفْسِ فَلَنْ تُرِيكَ أَنْفَاسُهُمْ إِلَّا الرِّيَاحِينَا
الْبَازِلِينَ بِلَا مَنٍّ وَلَا طَمَعٍ أَصْفَى الْمَوَدَّةَ إِحْسَانًا وَمَاعُونَا
وَالْقَانِعِينَ بِمَا دَرَّ الْجَبِينُ لَهُمْ مِنْ جُهْدٍ أَجْسَادِهِمْ شَهِدًا وَنَسْرِينَا
نُعْمَى يُبَارِكُهَا الْحَمْدُ مَا كَسَبُوا مِنْ الْحَلَالِ فَلَا سُحْتًا وَلَا شَيْنًا⁽¹⁾

فعلى الرغم من عاطفة الحزن الذي تأججت نارها شوقًا على فقد الأب الذي لا يُعوّض مكانه أحد، أتت عاطفة الفخر؛ لمتزج مع هذا اللون الحزين؛ لتمنح الشاعر نوعًا من المواساة لهذا الفجبة التي أدمت قلبه، فهو يقول الشعر مفاخرًا بأبائه الذين ما انفكوا تستقي أيديهم شهدًا من جبينهم، بلا مَنَةٍ من أحدٍ ولا ذلةٍ، فكانوا شموخًا يعتلي الحياء رؤوسهم، غير مستضعفين ولا متكبرين، على الرغم من بساطة حالهم لا يفتنون ينفقون بما تجود به نفوسهم، وهذا الفخر، أتى بعد أبيات الحزن والتّحسر لفقدهم والتي قال فيها:

أَقُولُ وَالْقَلْبُ مَحْمُولٌ عَلَى فَرْعٍ وَطَائِرُ الصَّمْتِ فِي التَّوْبِيعِ يَحْدُونَا
يَا حَامِلِينَ عَلَى نَعَشٍ رُفَاتٍ أَبٍ مَا زَالَ فَوْقَ الثَّرَى حَيًّا يُدَانِينَا
نَمْشِي وَمَا بَيْنَنَا يَمْشِي وَيُسَبِّقُنَا لِحَضْرَةِ الْمَوْتِ يَلْقَى اللَّهُ مَفْتُونَا
أَرَاهُ وَالْثُّورُ فِي عَيْنَيْهِ مُتَّقِدًا يَزِي السَّمَاءَ أَنْجُمًا وَالْأَرْضَ نَسْرِينَا⁽²⁾

فصور الحزن بادية في ناظره، مُشعلة الشوق في دفتيه، فما له إلا أن يواسي نفسه التي ألجمها الحزن بصورة أخرى تطمئن قلبه، فيكون ذلك بإدخال غرض الفخر؛ لكي يعطي لنفسه شيئًا

(1) الديوان: ص 47.

(2) الديوان: ص 45.

من الرَّاحَةِ بأنَّ مصير الفقيد إلى خير -إن شاء الله- لما بيَّن وأوضح من صور الكسب الحلال الذي اجتهدوا في تحصيله بجهد وتعب، فعلى الرغم من بذلهم الشَّدِيد إلا أنَّهم كانوا قانعين بما رزقهم الله تعالى دون مللٍ أو قنوطٍ. فنرى أنَّ العاطفة تنوعت، وأتت متساوقة مع غرض الرِّثاء، وما حملته من امتزاج ألوان الصُّور، وتناغم المشاعر للفقيد.

وفي منتهى قولنا عن التَّجربة الشَّعرية لدى شاعرنا، نُبيِّن أنَّ قدرته التَّعبيرية والوجدانية على بناء النُّص الشَّعري أتت وفق وحدة موضوعية متكاملة رسمت صورةً إيحائيةً لمشاعره وانفعالاته ضمن عاطفة صادقة قوية مُتنوعة الأغراض، والمقاصد، فكانت مرآته تحمل الشُّعور الصادق، الذي خرج من القلب من دون أن يكون التَّكسُّب أو الشُّهرة دخلاً فيه، وكذلك حملت هذه العاطفة الحبَّ الشَّدِيد لمعالم المدينة التي تربى فيها، بين نهريها وجسرهما العائم، وعواوين النُّواخير التي تُغني لأهل المدينة طرباً في شواطئ ذلك النُّهر، وأصدقائه الذين ما برح يذكرهم حتى نعاهم وندب مآثرهم، وكلُّ هذه الصُّور والمشاهد نُعِشت في ذاكرته، فما زال يَكُنُّ لها وافر الشُّوق، ويحمل لها في قلبه منتهى الشُّجون.

الخاتمة

بعد أن غمرنا غرض الرِّثاء بالحزن التي أودعه الشَّاعر في أبياته، والذي نثرنا بعض درره التي اعتنت بالعاطفة في بحثنا هذا، فلا بُدَّ من تسجيل بعض النُّتائج التي توصل اليها، وهي:

- 1- إنَّ الرِّثاء غرض شعريّ منبعه الأساس العواطف الجياشة التي يكون اتصالها بالقلب مباشرةً، بعيداً عما إذا كان غرض الشَّاعر من مجيء غرض الرِّثاء في شعره لشهرةٍ، أو لتكسبٍ، أو لغايةٍ نبيلةٍ وهي صدق الشُّعور بالقول؛ ذلك أنَّ عاطفة الحزن تأخذ رشفة العطف والبكاء من كوامن النفس الدَّاتية؛ لتنتشرها بصور في الأبيات الشَّعرية، فتكون معبرةً عن كوامنٍ، وأحاسيسٍ، غير ظاهرة عند أصحاب التَّكسب، ومجسدة عند صادق العاطفة.
- 2- أهمية العاطفة تغلب جميع أركان التَّجربة الشَّعرية، فهي روح العمل الأدبي، وسراج الطَّرِيق الموصل إلى نفس السَّامع والمتلقي، فنرى الاهتمام الشَّدِيد من الشَّاعر والنَّاقِد لهذا الجانب الأساس.

3- تباينت العاطفة في قوتها وضعفها بحسب قرب الشاعر من الفقيء، فنراه قد أبدع في تصوير مشهد الفراق، وما عمله في جسد الشاعر عندما رثى ابنته، وكيف كان وقع الخبر على مسامعه، فجاءت العاطفة مغمورة بالحن الشديد، فكأن الدنيا كلها قد رحل الفرح منها حال موتها، وقلَّت تلك العاطفة ولكن ليس كثيراً عندما نذب المدن والأماكن التي حملت ذكريات الأصدقاء والأقارب. ونراها شبت من جديد عندما عاد بنا إلى رثاء الأب، فازداد الشوق والحن، وقويت عاطفة الحزن مرة أخرى.

4- حمل الشاعر الثراء العاطفي الذي جعل العاطفة في الأبيات الشعرية ثابتة ومستمرة فلا نكاد نلحظ فتوراً ولا ضعفاً، بل أنت تستمد القوة والاستمرار من جياشة العاطفة التي يكنُّها الشاعر للمرثي، وكيف أن الحزن قد أثر فيه، حتى إن عاطفة الحزن في شعره لا تشبع من آلامه وأحزنه.

5- لقد كان الشاعر ذا مقدرة شعرية عالية، إذ يتنقل بين أغراض الشعر، فيمزج مع الحزن أغراضاً أخرى تعطي للشعر تلوناً وجمالاً، فهو لم يقتصر على الحزن بذاته بل زواج، وواشج بين الحزن، والعتاب، والمدح، والفخر، والوصف، حتى يسلي النفس، فيواسي أحزانه بذلك، وهذا ما لمسناه في رثائه لأبيه، فكان الحزن قد أسقم الجسم، فنراه يعاتب مرة، ويفخر مرة، ويشكو مرة، ويسترجع أخرى. فهو في تنقله بين هذا وهذا تشكّل جمال التنوع في العاطفة داخل الأبيات، فأعطى ذلك للنص بهاءً وصدقاً وقوة.

6- أبدع الشاعر في تلوين بعض أبياته الشعرية بجميل الاقتباس المعنوي التي أخذها من القرآن الكريم، وكذلك من أبيات شعراء لهم باع طويل في نظم الشعر؛ ليعطي أبياته جميل الصياغة التي يكتسبها من أي القرآن، أو من أبيات الشعراء المرموقين.

وفي الختام أسأل الله -تعالى- التوفيق والسداد في عملي هذا، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن إنّه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- 1- أدب المرأة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الأول الهجري: عتاب بسيم السوداني، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، 2005م.
 - 2- أدب الوفادة لدى أدباء الأندلس داخل وخارج الأندلس: يوسف إبراهيم قطريب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2017م.
 - 3- الأدب ومذاهب النقد فيه: رشيد عبدالرحمن العبيدي، مكتبة النقيض، بغداد، ط1، 1954م.
 - 4- أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1964م.
 - 5- الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني (ت:356هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الشعب، القاهرة، ط1، 1969م.
 - 6- التجربة الشعرية في شعر بدوي الجبل: رباح فروجي، أطروحة دكتوراه، جامعة فرحات عباس، الجزائر، 2012م.
 - 7- جماليات التشكيل اللوني في القرآن الكريم: د. ابتسام مرهون الصفار، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2010م.
 - 8- الخنساء: د. عائشة عبدالرحمن بنت الشاطي، دار المعارف، مصر، ط2، 1963م.
 - 9- ديوان ابن خفاجة الاندلسي: شرحه وضبط نصوصه د. عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، 2004م.
 - 10- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، قدم له راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1994م.
 - 11- ديوان الجواهري: محمد مهدي الجواهري، جمع وتحقيق د. إبراهيم السامرائي، د. مهدي المخزومي، د. علي جواد الطاهر، رشيد بكتاش، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، 1975م.
 - 12- ديوان الخنساء: شرحه حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004م.
 - 13- ديوان علي بن الجهم: عني بجمعه وتحقيقه ونشره خليل مردم بك، طبع في وزارة الأوقاف، المملكة العربية السعودية، 2001م.

- 14- ديوان الهذليين: الشعراء الهذليون، تحقيق محمد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1385هـ-1965م.
- 15- ذاكرة الخلود ديوان المراثي: سبتي جمعة الهيتي، مكتبة عدنان للطباعة والنشر، بغداد، ط2، 2011م.
- 16- الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: د. بشرى محمد علي الخطيب، مطبعة الإدارة المحلية، بغداد، ط1، 1977م.
- 17- الشعر والشعراء: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت:276هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1423هـ.
- 18- صدق العاطفة في شعر مرثي النساء: إيمان كمال مصطفى المهداوي، بحث قدم إلى مجلة دىالى للبحوث الإنسانية، العدد 51، 2011م.
- 19- الطريق الصعب "رواية بذاكرة شيوعي": سبتي الهيتي، مكتبة الزاوية للطباعة والنشر، بغداد، 2014م.
- 20- العاطفة وأثرها في تشكيل لغة الشعر: د. حسين أبو المجد محمد، مقالة منشورة في المجلة الحولية بجرجا، جامعة الأزهر، مجلد 9، العدد 1، 2005م.
- 21- العاطفة والابداع الشعري دراسة في التراث النقدي عند العرب إلى نهاية القرن الرابع الهجري: د. عيسى على العاكوب، دار الفكر، دمشق، ط1، 2002م.
- 22- العقد الفريد: لابن عبد ربه الأندلسي (ت:328هـ)، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ.
- 23- العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت:463هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، القاهرة، 1981م.
- 24- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:170هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال للطباعة والنشر، مصر، (د.ت).
- 25- لسان العرب: أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور الإفريقي (ت:711هـ)، تحقيق عبدالله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، وسيد رمضان أحمد، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

- 26- المحاسن والمساوي: إبراهيم بن محمد البيهقي (ت:320هـ)، تصحيح محمد بدر الدين النعاسي الحلبي، مطبعة السعادة، مصر، 1960م.
- 27- مقالات في الأدب والشعر: سبتي الهيتي، دار المتن للطباعة والنشر، بغداد، ط1، 2019م.
- 28- مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس (ت:395هـ)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، 1979م.
- 29- النقد الأدبي الحديث: محمد غنيمي هلال، نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1997م.
- 30- النقد التطبيقي عند العرب في القرنين الرابع والخامس الهجريين: أحمد محمد نتوف، دار النوادر للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 2010م.
- 31- الوجه الآخر مقالات في الأدب والفن والحياة: محمد عبدالحليم عبدالله، مكتبة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1984م.

References

The Holy Quran.

- 1- Al-Sudani, B. (2005). *Women's Literature from the advent of Islam until the end of the first century*. Master dissertation at University of Kufa.
- 2- Qutrib, Y. I. (2017). *The literature of hospitality among the writers of Andalusia inside and outside Andalusia* (1st ed.). Al-Kutub Al-Ilmiyyah press. Beirut.
- 3- Al-Obaidi, R. A. (1954). *Literature and Doctrines of Criticism in It* (1st ed.). Al-Tafayd Library. Baghdad.
- 4- Al-Shayeb, A. (1964). *The Origins of Literary Criticism* (1st ed.). The Egyptian Renaissance Bookshop. Cairo.
- 5- Al-Isfahani. (1969). *The songs* (1st ed.). Al-Shaab press. Cairo.
- 6- Frouji, R. (2012). *The poetic experience in the poetry of Bedouin Al-Jabal*. Doctorate thesis at Farhat Abbas University. Algeria.
- 7- Al-Saffar, I. M. (2010). *The Aesthetics of Color Formation in the Holy Quran* (1sted.). The World of the Modern Book. Amman.
- 8- Al-Shati, A. A. (1963). *Al-Khansa* (2nd ed.). Al-Maarif press. Egypt.

- 9- Al-Tabbaa, O. F. (2004). *Anthology of Ibn Khafaja Al-Andalusi*. Al-Qalam for printing and publishing. Beirut.
- 10- Al-Tabrizi, A. (1994). *Anthology of Abi Tammam* (2nd ed.). Al-Kitab Al-Arabi press. Beirut.
- 11- Al-Jawahiry, M. M. (1975). *Anthology of Al-Jawahiry*. Al-Adeeb Al-Baghdadiya Press. Baghdad.
- 12- Tamas, H. (2004). *Anthology of Al-Khansa* (2nd ed.). Al-Maarifa press. Beirut.
- 13- Bey, Kh. M. (2001). *Anthology of Ali bin Al-Jahm*. Ministry of Awqaf. Saudi Arabia.
- 14- Al-Shanqeeti, M. M. (1965). *Anthology of Al-Hudhali, Al-Hudhali Poets*. National House for Printing and Publishing. Cairo.
- 15- Al-Hiti, S. J. (2011). *Memory of Eternity, Diwan Al-Marathi* (2nd ed.). Adnan Library for Printing and Publishing. Baghdad.
- 16- Al-Khatib, B. M. (1977). *Lamentations in Pre-Islamic Poetry and Early Islam* (1st ed.). Local Administration Press, Baghdad.
- 17- Al-Dainuri, A. M. (2003). *Poetry and Poets* (1st ed.). Al-Hadith Press. Cairo.
- 18- Al-Mahdawi, I. K. (2011). Sincerity of Emotion in the Poetry of Women's Elegies. *Diyala Journal of Human Research*. 1(51), 1-22.
- 19- Al-Hiti, S. (2014). *The Hard Way "A Novel with a Communist Memory"*. Al-Zawiya Library for Printing and Publishing. Baghdad.
- 20- Muhammad, H. (2005). Emotion and its impact on shaping the language of poetry. *Yearbook of the College of Arabic Language in Girga*. 9(1), 327-373
- 21 - Al-Akoub, I. A. (2002). *Passion and Poetic Creativity: A Study of the Critical Heritage of the Arabs to the End of the Fourth Hijri Century* (1st ed.). Al-Fikr press. Damascus.
- 22- Al-Andalusi, A. (1984). *The unique contract* (1st ed.). Al-Kutub Al-Ilmiyyah press. Beirut.

- 23- Al-Qayrawani, A. R. (1981). *The Mayor in The Merits and Etiquette of Poetry* (5th ed.). Al-Jeel Press. Beirut.
- 24- Al-Farahidi, A. A. (2014). *Eye*. Al-Hilal Library and Publishing House. Cairo.
- 25- Al-Afriqi, M. M. (2014). *Lisan Al Arab*. Al-Maarif press. Cairo.
- 26- Al-Bayhaqi, I. M. (1960). *Advantages and disadvantages*. Al-Saada Press. Egypt.
- 27- Al-Hiti, S. (2019). *Articles in Literature and Poetry* (1st ed.). Al-Matn for Printing and Publishing. Baghdad.
- 28- Faris, A. (1979). *Language Standards*. Al-Fikr for Printing and Publishing. Damascus.
- 29- Hilal, M. Gh. (1997). *Modern Literary Criticism* (1st ed.). Nahdat Misr press. Cairo.
- 30- Natuf, A. M. (2010). *Applied criticism among the Arabs in the fourth and fifth centuries AH* (1st ed.). Al-Nawader for printing and publishing. Damascus.
- 31- Abdullah, M. A. (2015). *The Other Side, Articles in Literature, Art, and Life* (1st ed.). Egypt Bookshop for Printing and Publishing. Cairo.